

## سعد زغلول

ومن الذى يجهل سعدا؟ زعيم مصر، وقائد نهضتها، من أسلمت له الأمة قيادتها، فهياً لها الخروج من ظلام العبودية إلى نور الحرية.

ولد — رحمه الله — فى أسيانة من مركز فوة، بمديرية الغربية، حوالى سنة ١٨٥٧ م. وكان أبوه إبراهيم زغلول عمدة القرية، وله فيها منزلة سامية، وثراء<sup>(١)</sup> واسع، وبيته منتدى الأعيان. وقد شب فى زمن انتشر فيه الظلم، وفسد الحكم، واشتد بطش الحكام، حتى إن مأمور أحد الأقسام شنق عمدة، وصلبه ثلاثة أيام؛ لأنه تطاول عليه فى الكلام. غير أن أسرة سعد كان لها من المكانة ما يحميها من هذا الظلم، بل ما يجعلها مهيبة مرعية الجانب؛ فقد حكى عن أبيه إبراهيم زغلول أن أحد المأمورين استطال عليه بالكلام، فما كان منه إلا أن أوسعه ضرباً، ثم لم يعتذر، ولم يلحقه منه شر. وقد شعر سعد منذ صغره بالظلم ينال الناس

---

(١) ثروة كبيرة.

من حوله ، فاشتد بفضه للظلم والظالمين .

مات والده وهو في السادسة من عمره ، فكفله الشناوى زوج خالته ، وشملت أمه برعايتها وعطفها الرشيد ، وأبت أن تنزوج وهي في ريمان الشباب ، ووقفت حياتها على تربية أولادها وهم ثلاثة : مستهم وسعد وفتحى . وقد كان سعد يقول : « إنه ورث الإقدام والثورة عن أبيه ، والحكمة والأناة عن أمه » .  
ذهب إلى المكتب في سن السادسة ، فتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ، ثم توجه إلى الأزهر أكبر معاهد التعليم في ذلك العصر ، وكان للتلميذ فيه أن يختار أساتذته ، وقد أصاب سعد ؛ إذ اختار الإمامين المصلحين : محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى . وقد أعجب به أساتذته ، وتوسموا فيه النبوغ . ومما يدل على تمسقه الحرية أنه أجاد مرة في الكتابة عنها ، فقال الإمام جمال الدين : « مما يدل على أن الحرية ناشئة في مصر أن يجيد في الكتابة عنها هذا الناشئ » .

وقد ألف سعد جماعة لإصلاح الأزهر ، كان فيها داعيا للتجديد ، ثائرا على الأساليب القديمة في التعليم . وقد اختير سنة ١٨٨٠ م للتحرير بجزيرة الوقائع المصرية براتب قدره ثمانية جنيهات شهريا ؛ فكان يكتب وينتقد بما يدل على عقل كبير ،

وطيية مستقيمة ، ونبوغ مبكر ، ثم انتقل إلى وظيفة معاون بالداخلية براتب شهري قدره خمسة عشر جنيتها ، ثم كان ناظراً لقلم قضايا الجزيرة .

وشبت الثورة الوطنية بزعامة أحمد عرابي باشا ، وكان سعد من المشتركين فيها ، وقد ناله منها أذى كثير ؛ فاعتقل وخسر وظيفته ، ولسكنه ظل وفيما لأصدقائه وعقيدته ، فلم يرض أن يعتذر ويتزلف ليرجع لوظيفته كما فعل غيره ؛ بل فضل أن يشتغل بالمحاماة ، في وقت لم يكن فيه للمحامين كرامة . وكان أصحاب المنزلة من الناس يتفهمون عن معاملتهم ، والاختلاط بهم ، ولكن سعدا حين اشتغل بالمحاماة ارتفع بها بكرامته وصدقه ، وخدمته للحق ، فأصبحت مهنة كريمة ، شابهت مهنة القضاة ، بعد أن كان هؤلاء ينظرون إلى المحامين نظرة احتقار ، فلم يقبل سعد قط أن يدافع عن باطل ، ولم يرفض أبدا دفاعا عن صدق . ولم يبالغ في طلب الأجر ، بل كان لا يزيد في قضيته على خمسمائة جنيه ، ولا يأخذ من الفقراء أجرا . فشاع صدقه في أنحاء البلاد ، حتى كان إذا قبل الدفاع في قضية وثق الناس بنجاحها ، فارتفع بعلمه وخلقه إلى مجالسة العظماء . وتزوج ابنة رئيس الوزراء في ذلك العهد مصطفى فهمي باشا وهي صاحبة المصيبة صافية زغالول

أم المصريين — رحمها الله — فكانت خير مهيئة له . فخطبها  
سنة ١٨٩٥ م ، واحتفل بزواجها في فبراير سنة ١٨٩٦ ، وكان  
إذ ذلك في الثامنة والثلاثين من عمره . وكان من عاداته في المحاماة  
أنه يجب الصلح بين المتخاصمين ، ويقيد مقدم القضية في باب  
الأمانات لا في باب الإيرادات ، ليردها إلى صاحبها في حالة الصلح .  
وقد خطب في حفلة نقابة المحامين وهو وزير فقال :  
« أفكر أني عند ما كنت محامياً — ولا أقول ذلك مفاخرة  
أو مباهاة ، بل حكاية للواقع يسمعه المحامون الذين هم أحدث  
منى سنا ، ليروا رأيهم في اتباعه — ويأتي موكلى مريدا للصلح  
لخشية خصمه من توكلى عنه ، أرحب به ، وأسهل الأمر عليه ،  
بأن أرد إليه مقدم الأتعاب التي قبضتها منه ، لماذا سلكتم ؟ (ضحك  
وتصفيق) يجب عليكم أن تساعدوا على الصلح ، ولو برد بعض  
الأتعاب ، إن لم يكن كلها . وعلى أى حال أرجو ألا تكون  
قيمة الأتعاب مانعاً لكم من تحقيق الصلح والسلام . إنى ما كنت  
أقيد مقدم الأتعاب في باب الإيرادات ، بل في باب الأمانات ،  
لأنى نفسى ضعف نفسى . »

ومما يدل على طموحه وعظم همته اشتغاله ، عقب زواجه  
وهو يناهز الأربعين لنيل شهادة الحقوق من باريس سنة ١٨٩٧ م .

شم عين قاضيا ، فكان عون الضملاء والمظلومين ، يتمثل في أحكامه البحت الدقيق ، والنزاهة المطلقة ، وغيره المصلحين ، وذكاء النابغين . وكان مع ذلك لا يني<sup>(١)</sup> عن تشجيع كل دعوة وطنية ترفع شأن الأمة ، فكان على رأس الداعين إلى الجامعة . ومن بينه صدر منشور الدعوة . وكان الناس يتزلفون إلى ( اللورد كرومر ) عميد الإنجليز في مصر ، ويطلبون منه قضاء الحاجات . وقد هال ( اللورد ) أن سهدا لا يتزلف إليه ، ولا يطالب منه كما يفعل غيره . فقال له مرة : « وأنت أليست لك حاجة ؟ » فأجابته في عزة وشجاعة : « شكراً ، ولكني لم أسألك أنت قضاء الحاجات » . وقد قال كرومر عنه : « إن هذا الرجل قدير ، شجاع في عقيدته . وإنه علمني كيف أحترمه » .

واختير وزيراً للمعارف في أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، فصادف الاختيار هوى جميع الأمة وأحزابها ، فكان أول وزير مصري احتفظ بنفوذه في عهد الاحتلال ، ووجه وزارته وجهة وطنية . وكان يلقي أوامره على الأجانب لتنفيذ على غير ما كان مألوفاً إذ ذاك ، فمن أبطأ أصابه العقاب .

وقد قال له أحد الأجانب مرة وهو يجيب طالبه : « إليك

---

(١) لا يتأخر .

يا مولاي ما طلبت، وأنا رهين إشارتك، أعلم أن في الديوان وزيراً مطاعاً»



المغفور له سعيد زغالول باشا

وكان أول وزير تحدث إلى الصحف ، وزار الأقاليم ، وقدر النبوغ ، أعجبه مرة تلميذ في المدارس الأولية ، فنقله للمدارس الابتدائية بالبحر . ومن أعظم آثاره أنه نقل التعليم إلى اللغة العربية ، بعد أن كان باللغة الإنجليزية ، وأنشأ مدرسة القضاء الشرعي .

وكان وزيراً للحقانية سنة ١٩١٠ م ، فعمل على صون كرامة القضاء ، وأنشأ نقابة المحامين ، وأنصف المظلومين والقصر<sup>(١)</sup> . وقد تبين له ظلم قيم من القوام في مال إحدى الأميرات فمزله ، وكان هذا القيم على اتصال بالخدو والإنجليز ، فحصل بسببه خلاف لم يخضع له سعد ، واستقال لأنه لا يستطيع أن يخالف ضميره . وإن هذا ليريك صلابته في الحق . وترفعه عن الخضوع لغير سلطانه ، فحرمت البلاد حكمه ، ولما كتبها لم تحرم جهوده ومواهبه ؛ فقد انتخب عضواً في الجمعية التشريعية ، فكان يحاول فيها بسلاح ماض من قوة الحجية . وسلطان الحق ، حتى كانت به قوة يخافها الحكام ، شهد بذلك ( جورج لويد ) إذ يقول :

« كان زغول في الجمعية التشريعية ، ومن ورائه أتباعه ،

---

(١) التامى إلى أن يبلغوا سن الرشد .

قوة لامناص منها ، يمكن أن يشاؤوا عمل الوزارة إن لم يجهنوه  
مستنحيلا ، وكان يكره في الجدل السفاهة والمشائفة . « ومن  
ذلك قوله في الجمعية التشريعية : « لست شتاما ، بل أقر وأعترف  
أمامكم أني عاجز أمام كل شتيمة . ليس لي مطلقا قوة في هذا  
الميدان لأن أنازل فيه أضغف إنسان » .

وتحملت مصر أضرارا جساما في الحرب العالمية الأولى التي  
أعلنت سنة ١٩١٤ م ، ثم وضعت أوزارها في ١١ من نوفمبر  
سنة ١٩١٨ م ، فبادر سعد إلى مهمته الكبرى ، وكأنما هيأته  
نشأته ودراساته ودفاعه عن المظلومين في المحاماة ، وإنصافه لهم  
في القضاء ، هيأه كل ذلك لتأدية رسالته ، وهي دفاعه عن أمته  
المظلومة ، حتى قال حين تم توكيل الأمة له يذكر زوجته بما سبق  
من نذره أن يدافع عن الفقراء بلا أجر : « الآن يمكننا أن نوفي  
بما فاتنا من نذر في الدفاع عن الفقراء ، فإننا ندافع عن أمة ، وكل  
غنى فيها في طلب الاستقلال فقير . » فقد بادر عقب الهدنة يطلب  
المقابلة من العميد البريطاني في مصر ، وذهب هو وزميلاه على  
شراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ( باشا الآن ) ، وتناقشوا في  
مطالب مصر من الاستقلال التام ، ورفع الحماية ، فدهش العميد  
من هذا الطلب وهذه الجرأة ، ونصحهم بالانتظار ؛ لأنه لا يعرف

رأى حكومته في هذا . فتوسل الوفد بذلك إلى طلب السفر إلى أوروبا للمفاوضة ، فرفضت إنجلترا الطلب ، فاقصرت جهود الوفد على الاجتماعات ، وإلقاء الخطب — وكانت هذه الاجتماعات تمتع وتفرض بالقوة — وعلى إرسال الرسائل إلى مؤتمر السلام وإلى إنجلترا ، وكان لا يجب عن هذه الرسائل .

وحدث أن كان (المستر برمينغال) يلقي محاضرة في القاهرة يقترح فيها تغيير التشريع في مصر ، فانبرى له سعد بخطبة عصية ، يرد فيها أكاذيبه ، ويعلم حق مصر في الاستقلال التام ، فكانت صيحة جريئة تردد صداها في جميع القطر ، وتناقلت الألسنة الخطبة ، وحفظها كثيرون ، واغتاز الإنجليز غيظاً شديداً ؛ فدعا القائد العام الإنجليزي «وطنسن» سعداً وتسعة من صحبه ، وقرأ عليهم إنذاراً لهم بالعقاب الشديد إن هم داوموا على المطالبة بالاستقلال . فطلب سعد الإنذار ، ولم تمض بضع ساعات حتى كان الرد قد وصل إلى دار الحماية بالاجتماع وإعلان المصيان لهذا الطلب .

واستقالت وزارة حسين رشدي باشا ، وتمذر تأليف وزارة جديدة ، وتخرجت<sup>(١)</sup> الحال ، وألقت إنجلترا التبعة على سعد

---

(١) ضاقت واشتدت .

وصحبه ، فقررت نفيهم . ولم يكن ذلك ليغيب عن خاطر سعد ،  
فليس الاستقلال سهلاً ينال بمجرد الطلب ، بل دونه أهوال  
وعقبات ، ولذا كان يردد قبل نفيه : « لا بدلنا من قارعة . » وقد  
كانت ؛ فقد حضر إلى بيت الأمة قوة بريطانية للقبض على سعد  
باشا ، ومحمد محمود باشا ، وحمد الباسل باشا . ونزل سعد إلى سيارة  
الاعتقال بهدوئه المهود . وكان آخر كلمة قالها حينذاك : « تشجعوا »  
قالها بالفرنسية وكررها .

نفي سعد وصحبه إلى مالطة ، وكان أول ما عمل فيها أن كتب  
احتجاجا على تصرف إنجلترا يبلغها فيه أن كل تعذيب للمصريين  
لا يزيدهم إلا تمسكا بمطالبهم . وقد غضبت الأمة ، واشتعلت  
الثورة فيها في مارس سنة ١٩١٩ م . فلم يقو على إطفائها جيش  
الاحتلال .

وفهمت إنجلترا أخطاءها تجاه سعد والأمة المصرية . كل  
هذا وسعد وصحبه في مالطة لا علم لهم ؛ حتى زارهم حاكمها فقال  
لهم : « أشعلتم النار في مصر ، وجئتم إلى هنا » . فعلموا أن بمصر  
أحدانا خطرة . وبعد شهر في منقاهم جاءهم نبأ الإفراج عنهم ،  
والإذن لهم بالسفر مع زملائهم إلى حيث يشاءون . فما كان أطيب

هذا الخبر في نفوسهم : لأنه بشري بالحرية ، وبالنجاح في قضيتهم الكبرى .

سافر سعد وصحبه إلى أوروبا ، وكان عمله فيها الكتابة في الصحف ، وسراسل الدول ، وإقامة الولايم لعرض القضية بكل الممكن من الوسائل . وقد نجحت الدعوة في شعب فرنسا كما نجحت في أمريكا ، فرفض مجلس شيوخها معاهدة مؤتمر السلام ، وأخذ أنصار القضية المصرية يزيدون ، فعلمت إنجلترا أنه لا بد من مفاوضة الوفد ، فسافر الوفد إلى لندن ، واستمرت المفاوضات من يونية إلى أغسطس ، وانتهت بالإخفاق ، ثم اضطر سعد إلى العودة لمصر صرّوع الرأس ؛ إذ أبقى أن يفرط في حقوق أمته ، أو يخضع لأعدائها ، بل أسمع صوتها العالم ، ونشر على الدنيا قضيتها العادلة . فما إن وصل إلى الإسكندرية حتى استقبل استقبالاً لم يظفر به عظيم من عظماء الجيل في العالم كله ؛ فقد انتظمت البلاد كلها موكبا واحدا ، من القاهرة إلى الإسكندرية ، وتراصت الجموع الحاشدة أمام القطار ، حتى اضطر إلى الوقوف في أماكن كثيرة . وازدحمت شوارع العاصمة ، واكتست الأشجار بالمتسلمين لها ، ونسى بعضهم نفسه ، فكان يصفق بيديه غافلا عما يهدده من خطر الوقوع من فوق الشجرة ، ولم يكن في

الحقيقة من خطر؛ إذ كانت الأرض مكسوة بالناس، لا موضع فيها لقدم. وانتشرت أقواس النصر، وأعلام الزينة على طول الطريق، فكنت لا تسمع إلا اسم سعد، ولا ترى إلا صورة سعد، والهاتفين بحياة سعد، وسيارته تمشي المورينا، تشق لنفسها طريقا وسط الزحام البالغ، وهو واقف فيها بقامته المديدة، ومنظره المهيب، يحيي الناس بكلتا يديه، وتنهمر الدموع من عينيه. أيقنت انجلترا أن سعدا خطر كبير، وأنه ملك عليها الأمر، وأصبح القائد المسيطر الذي تخفق به خططها، وتكشفت حيلها، ويفسد تديرها. وقد كان كذلك؛ فقد ظل سعد يقرعهم بخطبه التي لم تكن أقوالا، بل روحا يملأ النفوس بالعزم والأمل، وسيطا تلهب الظهور للعمل، وقوة عاصفة بالظلم والظالمين.

أرسلت انجلترا إليه تهديدا فقال حين قرأه: «يهددوننا بنصب المشائق! إيكن. نحن مستعدون». ثم أصدر نداء إلى الأمة جاء فيه: «نفزع إلى اتحادنا فتقويه، وإلى صفوفنا فنجمعها، وإلى قوانا فنوجهها جميعا إلى دفع ذلك الخطر العظيم، نزرع الشهوات الدنيئة من نفوسنا، ونستل الأحقاد الممقوتة من صدورنا، وتكون الكلمة سواء بيننا ألا يطيب لنا العيش حتى ينطلق الوطن السجين، ويتمتع باستقلاله التام». وفي آخره يقول:

فلنتق الله بقلوب كلها اطمئنان ، ونفوس ملؤها استبشار بالاستقلال  
النام ، أو الموت الزؤام .

عملت انجلترا على نفيه ثانية ، وتوسلت لذلك بأن أرسلت  
إليه رسالة تحرم عليه فيها التكلم بالسياسة ، وتمنمه من الانتقال  
من قريته ، فأجابها بخطاب جاء فيه : « وبما أني موكل من قبل  
الامة للسعي في استقلالها فايس لغيرها سلطة تخلييني من القيام  
بهذا الواجب المقدس ؛ لهذا سأبقى في مركزى مخلصا لواجبي .  
والقوة أن تفعل بنا مانشاء أفرادا وجماعات » . ثم قال لكل من  
سألوه : « إن هذه مقدمة للنفي الآتى لاشحالة » .

وسرعان ما طار الخبر ، فكثرت المظاهرات ، وأطلق الرصاص .  
وأقبل صباح الاعتقال في ديسمبر سنة ١٩٢١ م غائما مطيرا ينذر  
بالشر . وقبض على سعد . فتقدم ثابت الجنان ، هادئا ، مطمئن  
النفترات ، وأرادت زوجته مصاحبته ، فرفض الجندي ، فتعلقت  
به ، ولكن سعدا قال لها : « لا تكونى سببا فى إهانتى » .

فعدت إلى ثباتها قائلة : « لا عاش من يهينك ياسعد » .  
وأخذت تهدي الباكين حولها . نخرج سعد إلى الجموع  
الحاشدة ، فسرح فيهم طرفه هادئا مطمئنا ، لا يبالى شيئا ، فضج  
الجميع بالبكاء صائحين : « إلى أين ؟ إلى أين ياسعد ؟ »

كان سميد عجوزا مصابا بأمراض كثيرة ، يسير إلى حيث لا يعلم ، ولا يدري أين يلاقى حتفه<sup>(١)</sup> . ومع ذلك قبل التصححية بقلب ممثلي ثقة وعزما . وهذا هو المثل الأعلى في عرفان الواجب والبطولة . اعتقل هو وصحبه في ميشل ، ثم نقل منها إلى جبل طارق ، وكانت مدة اعتقاله من ديسمبر سنة ١٩٢١ م إلى مارس سنة ١٩٢٢ م .

وفي هذه الأثناء صدر الدستور ، وأجريت الانتخابات ، ففاز فيها الوفد بأغلبية كبيرة ، فدعى سميد من المنفى إلى الوزارة ، فكان أول رئيس لوزارة دستورية . وكان يلقى كبار الإنجليز مقابلة الند للند . وأفرج عن المسجونين السياسيين ، وألغى نفقات الاحتلال ، وكان لا يجدد عقود الإنجليز الموظفين إذا انتهت ، ويتصرف في شؤون دولته كأن مصر مستقلة ؛ فمن ذلك رده على تصريح الحكومة الإنجليزية « بأننا لن نترك السودان بأي معنى كان » . قال في رده في مجلسي الشيوخ والنواب :

« إنني بالنيابة عن الشعب المصري بأجمعه ، أصرح بأن الأمة المصرية لن تنازل عن السودان ماحييت ، وما عاشت ... إن حقوق الأمم لا تضيع بمجرد أن يقول الغاصب إنني أريد أن

(١) موته .

أنتفع بها دون أصحابها... نعم أيها السادة لا يمكننا مطلقاً أن نتنازل عن السودان ؛ لا لأنه مستعمرة ، بل لأنه جزء من كياننا ، بل لأنه منبع حياتنا ، بل لأنه لا يمكن لمصر أن تعيش بدون السودان أصلاً .

وقد اعتدى على حياته في ١٢ من يولية سنة ١٩٢٢ حين كان في محطة العاصمة . رماه فتي غير بطلة أصابته في غير مقتل . وكان — رحمه الله — مصاباً بأمراض يضعف معها الأمل في الشفاء ، ولكن تجلت شجاعته المهدودة في هذا الخطر ؛ فقد كان يقول للباكين من حوله : « لا تبيكوا إذا مات سعد ؛ فهدؤوه باق لا يموت » . وهذا مثل سام من أمثلة الشجاعة والبطولة في وجه الخطر المحقق .

وقد أجرى سعد مفاوضات أخرى مع رمزي مكدونالد في إنجلترا، ولكنهم انتهت بالإخفاق أيضاً. ثم كانت فاجعة (السردار)، فاستقال سعد بسببها ، بعد أن مكث في الوزارة تسعة شهور. ثم ولى بعد ذلك رئاسة مجلس النواب ، فكان الرئيس العادل ، الرحب الصدر ، النزيه في مناقشاته ، البعيد النظر في آرائه ، وكان يمتاز في مواقفه بحدة ذكائه ، وسرعة خاطره ، وحلمه ، ورجاحة عقله .

وقد كان سعد خطيبا يلهم بقلوب سامعيه ، قوى التأثير بصوته الرقيق ، وطامته الهيبه ، وبلاغته الساحرة . وكثيرا ما أبكى سامعيه من متعلمين وفلاحين .

وكان نبيلاً في خصومته ؛ فكثيراً ما مدح خصومه على كثرة ما ناله منهم من أذى ، وقد بلغه مرة أن بيت أحد خصومه ( إبراهيم الهلباوى بك ) سيباع فى المزاد ، فأمر بإرسال مبلغ من ماله لينقذ . ولكن ذلك الخصم كان قد دبر أمره ، وأنقذ بيته . فلما بلغه ما عزم عليه سعد شكره كثيراً .

وكان سعد فى بيته مثال الزوج الكامل ، يأوى من بيته إلى مكان الدعة والراحة ، ليقوى على العمل والجهاد ، بكل كل شىء لزوجته . وقد قيل لها مرة : « أين زوجك ؟ ألا يسمع له صوت ؟ »

فأجابت : « إن صوته يسمع فى كل مكان إلا هذا المكان » . وكان رحيماً بالخدم والأتباع ، حتى كانوا يتجرءون عليه ، وهو الذى يهبه العطاء والأمر . وكان سعد صلباً فى الحق ، صريحاً حكيماً ، داهية فى تصرفاته وتدابيراته ، مناضلاً يحب العمل ، متديناً يراقب ربه ، ويؤدى فرضه ، وقد اضطلع فى شيخوخته بقضية الأمة ، بعزيمة وصبر لا يقوى عليهما الشباب ؛ لهذا تعلق

به الشعبية تملقا شديدا ، وقدره أصدقاؤه وأعداؤه ، من مصريين  
وأجانب .

ولما وافاه الأجل المحتوم في ١٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧  
ارتاع القطر المصري أجمعه ، وعمه الخزن ؛ كأن كل مصري  
فقد أباه وعائلته . ذهب ناع ليلة أن مات إلى مسرح من مسارح  
اللهو في القاهرة ، فصاح الجمع : «أيها الإخوان ، البقية في حياتكم .  
الباشا مات !» فصرخت المنفية ، وألقت العود من يدها ،  
وولت ، ثم انفض الجمع عن حزن عميق .

ذلكم هو سعد في سيرته الخالدة ، فاقتدوا به في عزيمته  
ونزاهته ، وفي نشاطه وإخلاصه ، وفي شجاعته وعظمته ، وأحيوا  
ذكره بالافتداء بفضائله ؛ ليكون سعد خالدا فيكم بصفاته الخالدة ،  
وأعماله المجيدة . وليكن من كل منكم سعد في تلك الصفات ،  
وهذه الأعمال .

### من كلمات الخالدة

من كلمات الخالدة قوله : «أنا لست رئيس حزب ، ولكني  
وكيل أمة . قلت ذلك مرارا ، وكررته تكرارا . قلته عقب  
خروحي من منفى . وقلته بعد عودتي منه . وسأقوله دائما ، وأعمل

به . فلا أحابي شخصا لمبدئه السياسي ، ولا أنعرض لآخر  
لآرائه السياسية . ولكني أحسن لمن يعمل لمصلحة الوطن ،  
وأنكل بمن يسيء إليه . فمن عمل صالحا فلنفسه وللأمة . ومن  
عمل بضد ذلك فعليه إثم ما عمل . ولو أجرم ابن سمد لحقت عليه  
كلمة العقاب .»

## ومن خطبه التي ألقاها

يوم ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٢٣

يدعو إلى الاتحاد

« طلب مني بعض خطبائكم أن ألقى كلمة لتكون بردا  
وسلاما على قلوبكم . والكلمة التي جاشت في صدري عقب  
هذه الدعوة هي أن أرجوكم ، وأرجو كل مصري ، أن يحافظ على  
أمر واحد هو فخار نهضتنا الحاضرة ؛ ذلك الأمر هو الاتحاد المقدس .  
لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم . لأقول  
ذلك ولا أدعيه ، بل لأتصوره ، إنما نهضتكم قديمة ، تبتدى من  
عهد مؤسس الأسرة المالكة محمد علي . وللحركة العرابية فضل  
عظيم فيها ، وكذلك للسيد جمال الدين الأفغاني وأتباعه وتلاميذه  
أثر كبير ، والمرحوم مصطفى كامل باشا فضل عزيز فيها أيضا ،  
وكذلك المرحوم محمد فريد بك .

كل هذا حق ، ويجب علينا ألا نكتمه ، لأنه لا يكتفم الحق إلا الضعيف . ثم أتت هذه النهضة على أثر تلك النهضة ، وامتازت على سابقاتها بأن أوجدت هذا الاتحاد المقدس بين الصليب والهمال ؛ هذا الاتحاد الذي أرجو مصر جميعها ألا تتهاون فيه ؛ فإنه فخار هذه النهضة ، وهو عمادها . وهو الذي اضطر له خصومنا إذ أسقط من أيديهم حجة كانوا يعتمدون عليها ، كما أردنا تحرير رقابنا من النير الذي وضموه في أعناقنا . يقول خصومنا إننا حماة الأقلية فيكم ؛ لأنكم قوم متعصبون ، فلا بد من أن نبقى بينكم لنحفظ العدل فيكم !! هذه الحججة سقطت بأحدكم ، ولكنهم الآن اتهموا فرصة الانتخاب ، ليبتئوا الانقسام فيكم ، فاحذروا هذه الدسيسة ، واعلموا أنه ليس هناك أقباط ومسلمون . ليس هناك إلا مصريون فقط . ومن يسمونهم أقباطا كانوا ولا يزالون أنصاراً لهذه النهضة ، وقد ضحوا كما ضحيتم ، وعملوا كما عملتم . وبينهم أفاضل كثيرون يمكن الاعتماد عليهم . فأحسوا التراب في وجوه أولئك الدساسين الذين يفرقون بين مصريين ومصريين ، أن لا امتياز لواحد على آخر إلا بالإخلاص والكفاية . فيهم إحساننا ، وفيهم من هو أفضل من كثير منا . أقول هذا لأنى أقول الحق . ويجب على زعيمكم أن يقول الحق .

لقد برهنوا في مواطن كثيرة على إخلاص شديد ، وكفاءة نادرة ، وأفتخر ( أنا الذي شرفتموني بدعوتى زعيمكم ) بأني أعتمد على كثير منهم ، فكلمتى ووصيتى فيكم أن تحافظوا على هذا الاتحاد المقدس ، وأن تعرفوا أن خصومكم يتميزون غيظا كلما وجدوا هذا الاتحاد متينا فيكم . ولولا وطنية في الأقباط ، وإخلاص شديد ، لتقبلوا دعوة الأجنبي لحايتهم ، وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب ، بدل النفي والسجن والاعتقال ، ولكنهم فضأوا أن يكونوا مصريين معذبين ، محرومين المناصب والجاه والمصالح ، يسامون الخسف ، ويدوقون الموت والظلم ، على أن يكونوا محميين بأعدائهم وأعدائكم .

هذه المزية يجب علينا أن نحفظها ، وأن نبقها دائماً في صدورنا ، وإني أفتخر كل الافتخار كلما رأيتم متحدين متساندين . حافظوا على اتحادكم . وهناك افتخار آخر لهذه النهضة ، وهو التفاف الأمة نحو شخصى الضعيف .

تعودتم طاعتي ، وأنا لم أكن أميراً فيكم . ولا أنا من بيت كبير ، بل أنا فلاح ابن فلاح ، من بيت صغير ، يقول عليه خصومنا إنه حقير . ونعمت الحقارة هذه . ولم أكن غنيا ليكون التفافكم حولى طمعا في مال ، ولا أنا ذوجاه أوزع الجاه على من

يطلع فيه ، ولستكنكم التفقتم حولي ، فدللتكم بذلك على أنكم لا تطالبون مالا ولا جاهاً ، بل السجن في بعض الأوقات .

أنتم أمة تلتفت حول رجل لا مال عنده ولا جاه ، ولا جمال أيضاً . حقيقة إن كل ما يستهوي الناس عادة مفقود عندي . أنا مقر بذلك . وأنا أوكد لكم ، وأقسم بالله و بصفاته أني ماتخيات حتى في منامي أن شخصي الضعيف موضوع تلك الحفاوة ، ولستكني أعتقد أن في الأمة شعورا شعبيا ، ونورا إلهيا ، هداها إلى شيء ، في شخصي الضعيف ، هو أني متمسك بمبادئها .

قالوا — وما أكثر ما قالوا — قالوا إنكم قوم تعبدون الأشخاص ( يعني ماشفتوش إلا أنا ؟ ) لم لم تعبدوا غيري ؟ هذا كلام فارغ لا يستحق مني الرد . وهذا هو الدليل على أن نهضتكم حقيقية . تعبت مع صحبي المخلصين . وهنا اسمحو لي أن استطرد عند أولئك الصحب .

تعبت ولكن محبتهم أنستني آلام النفي : لأنهم كانوا حقيقة أبناء بررة ، شعرت بهمهم ، وأنسوني كل ما كان يمكن أن أحس به في سجنى وغربتى . ولولا قصر الوقت لشرحت لكم جميل عنايتهم بي . يقينا كنت أتقوى في عزيمتى بهم . وإني أشكرهم على هذه التقوية . أنسوني الآما كثيرة ، ووجدت فيهم

عوضنا كبيرا . شكرتهم بسرى هناك . وهنا أشكرهم علنا أمام  
الامة جميعا .

ففيما فإذا حصل ؟ . حل محلنا آخرون ، فكان لهم من الامة  
نفس الاحترام الذي كان لنا ؛ لأنهم حلوا في المسكان الذي  
عهدت فيه الامة الإخلاص . حلوا فيه ولم يكن أمامهم إلا السجن  
والنفى والإثم ، ودل ذلك على أن الامة جميعها مستعدة . إذا غاب  
منها سيد قام سيد .

جاء هؤلاء الخلق ، ونابوا عنا أحسن نيابة ، وعذبوا وأهينوا ؛  
ولكنهم صبروا حتى حكم عليهم بالإعدام ، فتقبلوه بوجوه باسمه  
هاتفين لمصر ، وللاستقلال التام . وعندما أخذوا قام من خلفهم ،  
وسار سيرهم ، فكان ما كان لهم من احترام وسجن واعتقال ، ثم  
خلفهم أسياد آخرون ، قاموا بعبئهم خير قيام . فتوالى قيام الأبطال  
مكان الأبطال ، والسجن يفتح أبوابه لكل حر ، ولكل عامل  
للحرية . وهذا دليل على تأصل النهضة فيكم ، وأنكم حقيقة  
مستعدون لأن تضحوا بكل شيء في سبيل استقلال بلادكم ، وأن  
نهضتكم حقيقية ، وأنكم تبتعدون الأشخاص الذين يتمسكون  
بعبادتكم مهما يكونوا . وكنت وأنا في منفاى عندما أرى هذه  
الوثبات أقول : لقد تمت مأموريتي . واستقلت البلاد .

## من خطبته التي ألقيت في حفلة الطلبة

يوم الجمعة ٧ من ديسمبر سنة ١٩٢٣

سادتي . إخواني . أبنائي .

أهديكم فائق شكري على إقامتكم هذا الاحتفال العظيم تكريماً لمودتي . وكنتم آخرتموه لانحراف ألم بي . وأحمد الله تعالى أن سبحانه الجدد ، وهم ضباط محتي ، لم يحاولوا أن ينسوني هذه المرة من الخروج إلى هذا الاجتماع وشهوده ؛ لأنهم يعلمون أنه اجتماع الشباب ، والشباب ينشر على من حوله أشعة من الحرارة ، تكسب الجسم قوة ، وتقيد الصحة اعتدالاً .

وفي الحلق أتي أشعر كلما رأيتم بديب من القوة يدب في جسمي ، وبدافق من السرور يصب في قلبي . وأنجيل كأني عدت إلى الصبا . وعادت إلى صدري حماسته . فأستعمل كل صعب ، وأستهين بكل خطب . وأبى كل صوت يدعو إلى التقدم والارتقاء .

إن الشباب هو تلك الحلقة الذهبية التي تربط المستقبل بالماضي ، وكل ما يصدر عنه محبب إلى النفس ، والنفس منجذبة إليه ؛ لأنه يصدر عن إخلاص في نضارة ، وعن كرم في طهارة .

إنه ربيع هذه الأمة ، وهو قوتها المأملة ، وأملها الصادق . وبه  
صرخت صرختها فدوت في الخافقين ، وقامت قوتها فلقت  
أنظار الملمين . ومنه استمدت قوتها فثبتت للخطوب وقد ادهمت .  
وصيرت على المصائب وقد ألمت . وجهدت جهاد الأبطال في  
سبيل استقلالها ، مصممة ألا تعدل عن سبيلها ، حتى تنال ما أملت  
أو يكون الموت خيرا لها . نعم صدمت هذا التصميم الجازم بقوتكم ،  
وثبتت هذا الثبات الدائم بمحورنكم . فسيجد من يراكم ويفهمكم .  
سيجد لأنه يرى فيكم أكبر سلوة ، وأقوى عدة أعدتها الأمة  
لتحقيق أمانها .

إننا (أعني الشيوخ) نطل من عيونكم اللامعة على المستقبل  
الذي لا نشك في أنه سيكون بعناية الله مستقبلا زاهرا . و نرى  
فيكم خير كفيل بإتمام العمل الذي ابتداء ، وإنجاح المساعي التي  
بذلت لكسب القضية الكبرى . لذلك أحيي فيكم زملاء أشداء ،  
وإخوانا في النهضة الوطنية ، وأنحنى احتراماً أمامكم ، بصفتمكم  
أمناء شرفنا ، وحفظة استقلالنا في الأيام الآتية ، وسيكون بين  
أيديكم مصير مصر الحرة . نعم سيكون هذا المصير بين أيديكم ،  
فياله من مجد وفخار . وياها من مسئولية هائلة !

لا تنسوا أيها الأبناء أنكم من أمة قد أعلن على التسليم

والتهذيب فيها حرب نظامية أكثر من أربمين عاما . واذكروا  
داعما أنكم بفضل ما امتزتم به على غيركم من العلم والتهذيب زاد  
عبء الواجب عليكم نحو الشعب المصري الذي تنتسبون إليه .  
فاستمدوا إذا للقيام بهذا الواجب الذي ينتظركم ؛ لتؤدوه على  
أطيب الوجوه وأكملها . واذكروا جيدا أن لانهوض لأمة  
ولا سعادة لشعب إلا بالعلم والأخلاق الفاضلة . فانشدوا السكال  
العقلي والخلقي ، وتيقنوا أن القوة الفشوم إذا انتصرت على  
الحق زمانا فإن قوة النفس المهذبة العاملة ، والإرادة المرتكزة على  
الحق تنتهي على الدوام بالنصر والفوز الباهر ؛ لأنها أقوى من  
كل إرادة .

سر عظمة الأحم يا بني هو ذكاء أبنائها وعلمهم ، وثباتهم على  
الجد والعمل ، فضعوا هذه الحقيقة أمام أعينكم . وليعمل كل منكم  
على أنه جندي في جيش إنقاذ الوطن . وليقل في نفسه إنى أعمل  
لهذه الغاية ، وأجد في عملي ، وأستمر في إخلاصي ؛ لأنه يتوقف  
على عملي واجتهادي واهتمامي بالشئون العامة وإخلاصي لها — سلامة  
البلاد وعظمتها وسعادتها . إذا فعلتم ذلك — ولا بدأ أنكم فاعلوه —  
يبدو الواجب أمامكم واجعا جليا ، وتسهل الصعاب في طريقكم ،  
ويتقلب مجهودكم على ما يعترضكم من العقبات ، وتكفل مساعيكم

بالنجاح ، وتبارك لكم أمم مصر في أعمالكم وأعماركم ومستقبل أيامكم .

قال (رينان) لجمع من الشبان مثل جمعكم : « إن كل شيء من حولكم سيتحول ويتغير . وربما تشهدون تغييرات أعظم من التي جاء بها التاريخ الإنساني لغاية الآن . ولسكن ما لا شك فيه هو أنكم مستلاقون في كل أدوار الحياة التي تمررون بها خيرا لأن يعمل ، وحقيقة لأن تبحث ، ووطننا لأن يحب وأن يخدم » .  
أيها الأبناء ، هذه نصائح ألقها عليكم ، لا لأنني أشعر بأنها مجهولة لديكم ، ولكنني ألقها لأنني شيخ ، والشيوخ يحبون عادة إسداء النصائح للشبان . وقد يكون منشأ هذا الحب هو رغبتهم في أن يثبتوا أن حياتهم الماضية لم تكن حياة ضائعة ، وأن وعاء تجاربهم قد امتلأ بالحكمة وفاض بالمعبر .

لست في حاجة إلى أن أرجع بكم إلى الوراثة خمس سنوات ، أيام كان يتساقط تحت الرصاص من بينكم إخوان لكم ألقوا بأنفسهم إلى الموت ، وهو فاعر فاه . ألقوها بشجاعة نادرة ؛ ليضربوا لمن بعدهم من الأجيال أحسن الأمثال في التضحية . لا حاجة إلى ذلك ، وما على الباحث إلا أن ينظر إلى سير الحوادث الأخيرة ، ليرى بجانب آثار الشجاعة والإقدام علامات كثيرة

من الصفات الفاضلة ( من حسن البصيرة ، وحكمة الشيوخ في  
نشاط الشباب ) .

## رثاء سعد زغلول

وانذكر هنا شيئاً مما رثي به الشعراء سعد زغلول :

عن قصيدة لشوقي بك في رثاء الزعيم :

شبهوا الشمسَ ومالوا بضحاها

وانحنى الشرقُ عليها فبكاها

جَلَلٌ (١) الصَّبِيحَ سوادًا يومها

فكانَ الأرضَ لم تَخْلَعْ دُجَاهَا

جاءها الحقُّ (٢) ومن عادتها

تُورِرُ الحقَّ (٣) سبيلًا وانجأها

مأدرت مصرُ بدفنٍ صُبَّحت

أم على البعثِ أفاقَتْ من كرامها

(١) كساه وغطى ضوءه .

(٢) يقصد به الموت .

(٣) يقصد به المدل .

بَصْرَتْ تَحْسِبُهَا بِنْتَ الشَّرِيِّ (١)

طَلَبْتُ مِنْ مِخْلَبِ الْمَوْتِ أَبَاهَا

وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمَّا نَسَاوَا

شُجْبُ السَّيْلِ طَفَّتْ فِي مُلْتَقَاهَا

خَفَضُوا فِي يَوْمِ سَعْدٍ هَامَهُمْ

وَبَسْمِدٍ رَفَعُوا أُمْسِ الْجِبَاهَا

\*\*\*

يَا عَدُوَّ الْقَيْدِ لِمَ يَدَّخُ لَه

شَبَّحَا فِي خَطِّةٍ إِلَّا أَبَاهَا

حَضَنْتَ نَفْسَكَ وَالتَفْتُ بِهِ

رَايَةً كُنْتَ مِنَ الذَّلِّ فِدَاهَا

هَجَبِي مِنْهَا وَمِنْ قَائِدِهَا

كَيْفَ يَحْمِي الْأَعْزَلُ الشَّيْخُ حِمَاهَا

طَافَتِ الْكَأْسُ بِسَاقِ أُمَّةٍ

مِنْ رَحِيقِ الْوَطَنِيَّاتِ سَقَاهَا

عَظِلَتْ آذَانُهَا مِنْ وَتْرِ

سَاحِرٍ رَنَّ مَلِيًّا فَشَجَّاهَا

---

(١) بنت الشَّري : أنثى الأسد .

أَرْخُنْ هَامَ بِهِ وَجِدَانَهَا  
وَأَذَانُ عَشِقْتِهِ أَذْنَاهَا

\*\*\*

تَكْبُ التَّمَعِ عَلَى سَعْدِ دَمًا  
أُمَّةٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ بِنَاهَا  
لَقِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِ كَرَاهَا  
وَاسْتَقَى الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ فَتَاهَا  
ابْنُ سَبْعِينَ تَلَّقَى دُونَهَا  
غُرْبَةَ الْأَسْرِ وَوَعْدَاءَ (١) نَوَاهَا  
قَاهَرَهُ أَلْقَى بِهِ فِي صَخْرَةٍ  
دَفَعَ النَّسْرَ إِلَيْهَا فَأَوَاهَا  
كَرِهَتْ مَنَازِلَهَا فِي تَاجِرِهِ  
دُرَّةً فِي الْبَحْرِ وَالْبِرِّ نَفَاهَا  
أَسْأَلُهَا وَأَسْأَلُوا شَانَهَا  
لِمَ لَمْ يَنْفِ مِنَ النَّسْرِ سِوَاهَا

(١) الوعداء: الطريق العسر أو المشقة.

وَلَدَ الثَّوْرَةَ مَسْمُودًا حُرَّةً  
بِحَيَاتِي مَاجِدٍ حُرِّي نَمَاهَا  
مَا تَمَنَّى غَيْرَهَا نَسْلًا وَمَنْ  
بِلَدِّ الزَّهْرَاءِ يَزْهَدُ فِي سِوَاهَا  
بَارِكِ اللَّهُ لَهَا فِي فَرْعِهَا  
وَقَضَى الْخَيْرَ لِمَصْرِ فِي جَنَاهَا

من قصيدة حافظ إبراهيم بك في رثاء سعد باشا :

إيه يا ليلُ هل شَهِدْتِ الْمَصَابِيَا  
كَيْفَ يَنْسَبُ فِي النُّفُوسِ انْتِجَابِيَا ؟  
وَأَنْعَ النَّيِّرَاتِ سَهْدًا فَسَدُّ  
كَانَ أَمْضَى فِي الْأَرْضِ مِنْهَا شِهَابِيَا  
أَيْنَ مَسَدُّ ؟ فَذَلِكَ أَوْلُ حَقْلِي

غَابَ عَنِ صَدْرِهِ وَعَافَ (١) انْخِلَابِيَا

لَمْ يُعَوِّدْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبِي  
أَنْ يُنَادِي فَلَإِ يَرُدُّ الْجَوَابِيَا

(١) عاف الشيء : كرهه وزهد فيه .

أى جنود الرئيس نادوا جهاراً  
فإذا لم يجب فسقوا الشيبان  
خرجت أمة تشيع نفساً  
قد حوى أمةً وبحراً عباباً  
حملوه على الدافع لما  
أعجز الهام حمله والرقابا  
حال لون الأصيل والدمع يجرى  
شفقاً سائلاً وصباحاً (١) مذاباً

\*\*\*

يا كبير الفؤاد والنفس والآ  
مال أين اعتزمت عنا الذهابا ؟  
كيف نسى موافقاً لك فينا  
كنت فيها المهيب لا الهيبابا

---

(١) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التي كانت تجرى  
دماً ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق  
والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرة .

كنت في مَيْعَةٍ (١) الشبابِ حُسَامًا  
زادَ صَمْتًا فرِندَه (٢) حينَ شَابَا

\*\*\*

لَيْتَ سَعْدًا أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا  
كَيْفَ نُعَلِي عَلَى الْأَسَاسِ الْقِيَابَا  
قَدْ كَشَفْنَا بِرَهْدِيهِ كُلَّ خَافٍ  
وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا

حُجْبُجُ البَطْلِينِ تَمَضَى سِرَاعَا  
بِثَامَا تُطْلِعُ الكُؤُوسُ الحَبَابَا  
حِينَ قَالَ (انْتَهَيْتُ) (٣) قُلْنَا بَدَأْنَا

نَحْمِلُ العِيبَ وَحَدَّنَا وَالصَّمَابَا  
فَأَحْبَبُوا الشَّمْسَ وَاحْبَسُوا الرِّيحَ (٤) عِنَا  
وَأَمْنَهُونَا طَعْمًا سَامَنَا وَالشَّرَابَا

(١) أوله .

(٢) فرند، السيف : وشبهه وجوهه .

(٣) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : ه أنا

انتهيت » ، وإلى هذا يشير الشاعر .

(٤) الرِّيح : نسيم الريح .

قَدْ مَلَكَتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا  
وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ سَمَوَاءٍ <sup>(١)</sup> بَابًا  
وَأُنْتِمْ بِالْحَائِمَاتِ <sup>(٢)</sup> تَرَامِي  
تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِعًا وَانْخِرَابًا  
وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ الْفَيْلِ وَعَدَا  
وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابًا  
هَلْ ظَنَرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبِ أَبِي  
أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَسَابًا <sup>(٣)</sup>  
لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ فِيهِ  
أَلْفٌ لَيْثٌ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابًا <sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ فَصْبِرْهُ الْأَسَدَ عَلَى الْجَارِمِ بِكَ فِي رَمَاهُ سَمْرِيَانًا :  
لَا الدَّمْعُ غَاضٌ وَلَا فَوَادِكُ سَالِي  
وَدَخَلَ الْحِمَامُ عَرِينَةَ الرَّبَالِ <sup>(٥)</sup>

(١) الفارة المنتشرة . (٢) الطائرات .

(٣) الثاب : الرجوع . يقول : إنكم بانتم في تعذيبنا ، فهل استنطقتم أن تملوا إليكم قلباً أياً من قلوبنا ، أو أن تحيدوا منا استسلاماً لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهَابَ : دعا .

(٥) غاض : جف وزهد . والحمام : الموت . وعرينة الربال :

مأوى الأسد .

- وأصاب في الميدان فارساً أمةً  
(١) رفع الكنانة بعد طول نضال  
ما كان سمد آية في جيله  
(٢) سمد الخلد آية الأجيال  
كتب الكتاب حول مصر سلاحها  
(٣) صبر الكريم، وهمة الفعّال  
فكانه سيف المهين خالد  
(٤) وكان دعوة أذان بلال  
يزداد في عصف الشدائد قوة  
ويجول حين يضيق كل مجال  
كالشعلة الحمراء لو نكستها  
(٥) لأضفت إشعالاً إلى إشعال

- 
- (١) الكنانة : مصر . والنضال : الجهاد والكفاح .  
(٢) الآية : المعجزة . والأجيال : جمع جيل وهم أهل الزمان الواحد .  
(٣) كتب الكتاب : جمع الجيوش . وهمة الفعّال : الهمة الوثابة .  
(٤) المهين : من أسماء الله تعالى . وخالد : هو خالد بن الوليد .  
(٥) الشعلة الحمراء : المقدمة التوجيهية . نكستها : قلتها رأساً  
على عقب .

والسبيلُ إن أحكمتَ سَدَّ طَريقِهِ  
دَكَ الحِصونَ فَمُدَّنَ كالأطلالِ (١)

إن قامَ مَخْطُبٌ قُلْتَ حَيدَرَةُ أنبَرَى

للقولِ في سَمَتٍ وِصِدقِ مَقالِ (٢)

فَخِيارُ من آيِ الكلامِ جِواهرًا

دُرُّ البِلاغَةِ كاسِمْهِنَ غِوالِي

فإذا أُثِيرَ رَأيتَ (بركانًا) رَمَى

جُمًّا ، ودَكَ الأرضَ بالزُّزالِ (٣)

مُتَمَرًّا كاللِيبِ دِيسَ عَرَبُهُ

مُتَوَثِّبًا يَدعو الرِجالَ نَزالِ (٤)

نَفَسٌ كَأَنفاسِ الملائِكِ طُهِرتْ

وشَمائِلُ أحلى من السَّلسالِ (٥)

- 
- (١) دك الحصون : هدمها . الأطلال : آثار الدار بعد تدميرها .  
(٢) حيدرة : الأسد ، وهو لقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . في سمت : أي في حسن هيئة ووقار .  
(٣) أثير : استفز وهيج . والحجم : ما يقذف به البركان من المواد المتفجرة .  
(٤) متمرًا : غابًا . عرين الأسد : مأواه . متوثبًا : واثبًا .  
نزال : اسم فعل أمر بمعنى : انزل .  
(٥) الشمائل : الطباع . والسلسال : الماء العذب .

وعقيدةٌ لو هزَّتِ الأجيالُ مِن  
ذُعُرِ لَمَّا اهتَزَّتْ معَ الأجيالِ

\*\*\*

سيروا على سَنَنِ الزعيمِ فإنه  
سَنَنِ الهدى وجلائلِ الأعمالِ (١)

قد خَطَّ من أخلاقِهِ وجِهَادِهِ  
لِلْفِتْيَةِ السَّارِينَ خَيْرَ مِثَالِ

إن كَانَ لَمْ يَنْجُلْ فَإِنَّ لَهُ بِكُمْ  
عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنَ النُّجُومِ (٢)

لَا تَيَاسُوا فَلكُمْ أُبَيْدَتِ قَبْلَكُمْ  
أُمَّمٌ بِيَّاسٍ قَاتِلِ وَمَلَالِ

إن السُّعُوبَ تُصَابُ فِي أَبطَالِهَا  
وَحَيَاتُهَا فِي سَيْرِ الأَبطَالِ

\*\*\*

(٣) السَّنَنُ : الطريق .

(٤) لَمْ يَنْجُلْ : لم يعقب ولدا . الزُّهْرُ : المتلاعبة المتبرفة .

سَمَدٌ حَيَاةٌ فِي الْمَاتِ ، وَقَبْرُهُ

مَهْدُ الْجِهَادِ وَمَجْدُ الْإِسْتِقْبَالِ

أَحْرَى بِنِهَايَةِ حَيَاةِ لِقَوْمِهِ

أَلَّا تُمْسَّ حَيَاتُهُ بِرِوَالِ

\*\*\*

انتهى والحمد لله